فلسطين وسياسة الانتداب البريطاني

احمد عبدالرحيم مصطفى، **بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩**، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٦، ٢٠٢ صفحة.

فيما اذا تجاوزنا الدراسات العربية القليلة المتفرقة، التي نشرت خلال السنوات الاخيرة، وتناولت السياسة البريطانية تجاه فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الثانية، فان هذا الكتاب، يشكّل، بحق، محاولة أولية لكشف جوانب هذه السياسة، لا سيما وان أغلب المصادر السياسية العربية، قامت بتحميل تلك السياسة مسؤولية التطوّرات التي أدّت الى تأسيس اسرائيل وهزيمة العرب. وفي الوقت ذاته، فإن معظم المصادر السياسية الاسرائيلية، فعلت ما فعلته المصادر العربية، باتهام بريطانيا التنكّر لليهود والتحيّز للعرب، خدمة لأهدافها النفطية والاستراتيجية، ومحاولة وأد مشروع الدولة اليهودية. وازاء ضياع الحقيقة التاريخية، ومحاولة استجلائها، سعى المؤلف «الى الاطلاع على الوثائق البريطانية غير المنشورة بعد السماح للباحثين بذلك، عقب انتهاء فترة الحظر التقليدي، ومداها ثلاثون عاماً»، وجعل منها العمود الفقري لهذا البحث «الذي أظن انه أول بحث موضوعي حول السياسة البريطانية ازاء فلسطين خلال الفترة الممتدة ما بين العامين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩» (ص ٥).

يتألف الكتاب من خمسة فصول رئيسة، اضافة الى خمسة ملاحق. تناول الفصل الاول، سياسة حكومة العمال البريطانية تجاه فلسطين، بدءاً من محاولتها التوصل الى تسوية بشأنها عبر مؤتمر سان جيمس، في مطلع العام ١٩٣٩، واصدارها الكتاب الابيض الشهير، انتقالاً الى مرحلة تحوّل زمام المبادرة في الحرب العالمية الثانية الى أيدي الحلفاء، ولجوء المتطرفين اليهود لانتهاج العنف، بهدف افشال الكتاب الابيض، وكان من أبرز تلك الحوادث، مقتل وزير الدولة البريطاني لوردمويه في القاهرة على أيدي الارهابيين اليهود. أتى ذلك عبر محاولة الحركة الصهيونية، الاستفادة من المستجدات الدولية، ورغبتها في فضّ تحالفها مع بريطانيا، وتوطيده مع الولايات المتحدة الاميركية، كقوة مستقبلية في الصراع العالمي.

وفي هذا السياق، عقد الصهيونيون مؤتمراً لهم في فندق بلتمور بنيويورك، شكّلت مقرراته انتصاراً واضحاً لاتجاه دافيد بن ـ غوريون، الداعي الى الاسراع في اقامة الدولة اليهودية عبر سياسة التدرج التي كان يتبعها الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن. ونصّت مقرّرات مؤتمر بلتمور على ضرورة الغاء الكتاب الابيض، وفتح ابواب فلسطين في وجه الهجرة اليهودية تحت اشراف الوكالة اليهودية، وانشاء جيش يهودي، وضرورة «اقامة (كومنولث) يهودي في فلسطين، ليشكّل جزءاً لا يتجزأ من كيان العالم الديمقراطي الجديد» (ص ٩).

ومن خلال استعراض الخطط البريطانية ـ الاميركية المشتركة لحل المشكلة الفلسطينية، لَحَظ المؤلف بأنها كانت متأثرة بالعديد من العوامل الخارجية من نطاق الصراع على فلسطين، وفي المقدم منها تنبّه بريطانيا الى ضعف مركزها الاستراتيجي في الشرق الاوسط، والذي ازدادت أهمية نفطه خلال الحرب، اضافة الى خشية بريطانيا من التدخّلين السوفياتي والاميركي في منطقة عُرفت باعتبارها حكراً على النفوذ البريطاني المتفوّق. وقد أُجري تنسيق الخطط البريطانية ـ الاميركية، بتوجيه مباشر من رئيس الوزراء البريطاني، ونستون تشرشل، والرئيس الاميركي، روزفلت، الّا ان هذا التعاون المشوب بالحذر، سرعان ما تراجع إثر اختفاء روزفلت وتشرشل من المسرح السياسي. فقد توفي الرئيس اميركي في العام ١٩٤٥، وخلفه هاري ترومان، المعروف